فقيد الأمة - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله تعالى

د حالق داد منک

مضى عام ٢٠٠٤م بكل ما حملته أيامه من المآسى الإنسانية والآلام والأحزان وقليل من الابتسامات والأفراح، فحصاد إنجازات الأمة و من تلك الخسائر العظيمة رحيل حكيم العرب الجليل، وقائدهم العظيم، مؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه و أسكنه فسيح جناته

ولد المغفور له بإذن الله فى عام ١٩١٨م، وجاءت مشيئة الله وحكمته التى ارتأت، و بعد ستة و ثمانين عاماً، قضاها زائد الخير في الخير والعمل من أجل شعبه و أمته، و بعد أن أدى الأمانة، أن يكون بجواره في الثاني من شهر نوفمبر ٢٠٠٤م الموافق ١٩ من شهر رمضان المبارک ١٤٢٥هـ، و كانت وفاته في هذا الشهر الفضيل، ترضية من الله عزوجل لشعب الإمارات بفقدهم شيخهم و قائدهم و حكيمهم الغالي في أيام مباركة، توجهت فيها الأفئدة وارتفع فيها الدعاء طلبا للرحمة والمغفرة له من الله الواحد الأحد، وانتحب الرجال قبل النساء والأطفال حزناً على فراق والدهم الكريم وقائدهم الجليل و شيخهم العظيم المغفورله. ولكنها إرادة الله تعالىٰ القائل فى محكم تنزيله: ﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور﴾ (الملك / ٢) و نحن مؤمنون بقضائه و قدره وبإرادته و حكمته و ليس لنا إلا أن نقول : إنا لله وإنا اليه راجعون

إن فقيد الأمة الشيخ زايد رحمه الله يحتل مكانة خاصة في قلوب أبناء الشعب الباكستاني، فقد كان رحمه الله صديقاً حميماً لوطننا جمهورية باكستان الإسلامية، وأن الشعب الباكستاني سيذكر له على الدوام كرمه و سخاء يده وحرصه و اهتمامه بشؤون تنميتها و رفاهيتها، ففي وطننا باكستان اليوم نجد دور العلم ومستشفيات و مطارات تقف شاهدة على كرم فقيد الأمة الذى كان سخيا مع الشعب الباكستانى.

و إن شعب باكستان الأبى تعرف الفضل لأهله، فنجد أن جميع الشعب الباكستاني يقر بفضله و أياديه البيضاء، و كذلك نجد أن الباكستانيين لم يتفقوا كما اتفقوا على فقيد الأمة الشيخ زايد ولم يحبوا بصدق كما أحبوه لأنهم يجدونه في كل موقع يتواصل إنسانياً و إسلاميا مع أهاليهم و عشائرهم، و تمتد عطاياه وقوافل خيره لتؤمن المأكل والملبس لكل محتاج في أرضهم. وكان رحمه الله يحب باكستان و شعبها حباً جماً ومن المعروف لدى الجميع أنه كايعشق القنص في باكستان.

و ستسجل صفحات التاريخ أن هذا الرجل الكبير هو بانى و مؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة، فبفضل بصيرته الثاقبة و جهده الدؤوب، و بفضل مؤازرة إخوانه حكام الإمارت ظهرت هذه الدولة إلى عالم النور فى ١٨يوليو ١٩٧١م حيث تم الاتفاق بين الإمارات الست ، وجاء فيه :

" استجابة لرغبة شعبنا العربي فقد قررنا نحن حكام إمارات: أبو ظبى و دبى والشارقة وعجمان و أم القيوين و الفجيرة ، إقامة دولة اتحادية باسم "الامارات العربية المتحدة"

و فى ١٠ فبراير ١٩٧٢م انضمت إمارة رأس الخيمة إلى الإمارات العربية

المتحدة و جاء ت تلك الخطوة لتلبى رغبة فقيد الأمة الصادقة في قيام اتحاديضم جميع الإمارات المتصالحة. و من اقواله الذهبية بهذا الصدد:

" إننا نعيش في عصر لامكان فيه للدويلات الضعيفة الهشة، وأنه لا بقاء إلا للكيانات العملاقة القوية اقتصادياً و بشرياً و عسكرياً ؛ لذلك سعينا دائماً إلى تحقيق هذا الهدف فى توجها تنا الوحدوية على كافة الأصعدة"

إن أعمار الأمم والدول لاتقاس بعدد أيامها و سنينها إنما بتقدمها وإنجازاتها في جميع الميادين، ودولة الإمارات هي التي لها قفزات في جميع الميادين سواء كانت صحية أو عمرانية أو حضارية، و يحق لشعب الإمارات أن يفخر بما قدمه فقيد الأمة القائد العظيم، الذي تفجرت بين يديه ينا بيع الخير، فزايد الخيرا ستطا ع أن يحول الحلم إلى حقيقة. فخلال سنوات حكمة انتقل سكان دولة الإمارات العربية المتحدة من حياة الفقر إلى حياة الرخاء والازدها ر مع محافظتهم في نفس الوقت على تراثهم الدينى و ثقافي ، وتحول شعب هذه الأرض الطيبة خلال فقرة حكم فقيد الأمة من شعب يعيش حياة البدوة في الصحارى الشاسعة، و يعتمد في توفير رزقه على صيدالسمك والقنص والغوص إلى شعب يسكن دولة تشهد نمواً اقتصادياً مستمراً و رخاءً متزايداً، وكان من أقواله الذهبية بهذا الصدد:

"إن أمة بلا ماض هي أمة بلا حاضر ولا مستقبل "

و تحولت الإمارات العربية المتحدة بفضل جهود ذلك الرجل العظيم إلى نموذج يحتذى باعتبارها دولة حققت خطوات هائلة على طريق النمو، و باعتبارها دولة تضم مجتمعا متعدد الأعراق ، متعدد الثقافات، يعيش فيه الجميع

في طمانينة وسلام، ويمارسون طقوس عباداتهم في حرية و أمان بفضل ما كان يتميزبه رحمه الله من الساع أفق و سماحة نفس.

وكان فقيد الأمة رحمه اله من القلائل الذين جادبهم الدهر، فالرجل بنى دولة ووحّد كلمة شعبه، وعلمهم الحب والتسامح، وقدم لهم منهجا ينهلون منه، سيرة يترسمون خطاها و ربى لهم رجالا ليحملوا هموم الوطن والمواطن ويحملوا عبئ حماية هذه الانجازات الشامخات التي أذهلت الدنيا كلها.

وكان فقيد الأمة والداً كريماً و قائدا حكيماً وحامل لواء الوحدة، الذى أهدى شعبه دولة عصرية مسافرة دائماً إلى المستقبل بخطى ثابتة مطمئنة و محروسة بحكمة، إنه دعا دائماً إلى السلام والمحبة بين الشعوب، ودعا إلى عالم يسوده الحق والعدل والمساواة، إنه عمل بجد و اجتهاد في حل المنازعات و إخماد نار الحروب فى العالم. و في الوقت الذي كانت فيه الحروب والصراعات تهز مناطقنا هزا في أفغانستان و إيران والكويت والهند و باكستان ظلت الأمارات العربية المتحدة واحة للأمان والسلام والاستقرار، إن الاحتفاظ بدولة مسالمة آمنة فى منطقة تتحداها و تمزها الصراعات والحروب كان إنجازاً عظيما يميز شخصية فقيد الأمة رحمه الله تعالى.

وكان فقيد الأمة رحمه الله قائداً فذًّا يفيض طهراً و حبّاً وحناناً و نبلاً على الإنسانية جمعاء، فكان قلبه الكبير يسع بني البشر كلهم، إنه حافظ على المبادئ ولم يتهاون في أي حق من حقوق أمته، فكانت له مواقف لا تعدو لا تحصى، ولا ننسى مواقفه تجاه الدول العربية والإسلامية، فهو الذى وقف مع مصر في حرب اكتوبر عام ١٩٧٣م فكان موقفه الشجاع في هذه الحرب مضرب المثل، وكانت مقولته الخالدة:

" إن البترول العربي ليس أغلى من الدم العربي"

لقد كان فقيد الأمة الشيخ زايد رحمه الله رجلاً يحمل بين ضلوعه قلباً كبيرا يتسع بالحب لجميع البشر. كان رجلا مستعدا في أي وقت من الأوقات لبذل أقصى جهد ممكن للقضاء على الفقر والتخلف وجلب النور والتقدم والرخاء للشعوب الشقيقة في العالم الإسلامى والشعوب الصديقة في مختلف أنحاء العالم. وكانت رسل زايد تجوب الأرض لتمسح دموع اليتامى والأرامل والمنكوبين والمحتاجين فى فلسطين و كشمير و أفغانستان و لبنان والصومال و كوسوفا و في أي مكان يصرخ فيه إنسان من ألم.

وكان رحمه الله قد عرف منذ سنوات شبابه بالشجاعة والحكمة والرؤية الثاقبة واهتمامة بالزراعة وتعمير الصحراء وقناعته الكبيرة بأن الإنسان هو محور التنمية والبناء والتقدم، فقد أكد في أكثر من مناسبة :

" إنه لا قيمة للمال إذا لم يسخر لصالح الشعب" واتخذ من هذه المقولة شعاراً للعمل وجسّدها بمرور الوقت حقيقة واقعة من خلال تلك الإنجازات الضخمة التي حققها لأبناء الإمارات. وكان رحمه الله يقول:

" إن الجيل الجديد يجب أن يعرف كم قاسى الجيل الذى سبقه، لأن ذلك يزيده صلابة وصبراً و جهاداً لمواصلة المسيرة، بدأها الآباء والأجداد، وهي المسيرة التي جسّدت في النهاية الأماني القومية بعد فترة طويلة من المعاناة ضدا التجزئة والتخلف والحرمان"

ان فقيد الأمة رحمه الله وضع نصب عينيه، و منذا البداية، تحقيق رخاء و رفاهية شعبه و جعلها تتصدر كل الأولويات، وسعى رحمه الله بدأب وتابع عن كثب خطط و برامج التنمية والمشروعات الكبرى التي وفّرت لأبنائه المواطنين

مستوى متطور وراقٍ من الحياة المعيشية الحديثة التي تقوم على مرافق خدمية متقدمة و خدمات صحية و علاجية تضاهي أرق المستويات و مدارس و مؤسسات تعليمية وجامعات تدرس لأبناء الأمة المناهج المتطورة تزودهم بأحدث العلوم والمعارف في شتى المجالات وكان رحمه الله يقول:

" إنني على ستعداد لأن أعطى أكثر مما أعطيت، أعطى لأحافظ على مكاسب المواطنين، أعطى الوطن الذى كبر و نما ، سأعطى كل ما أملك وما اقدر عليه من أجل هذه الأرض وهذا الشعب، لاشئ عندى غالٍ بالنسبة للوطن والمواطن، وسأكافح من أجل هذا"

غفر الله لفقيد الأمة الذى كان يمتلك شفافية جعلته يشعر بأهمية الثروات التي حبا الله بها دولة الإمارات، فلقد تمكن من تحويل الصحراء الجرداء إلى واحة غناء، إنه حول الرمال ذهباً وأغدق على الإمارا تيين ومن حولهم من خير هذه الدولة الآمنة، ولم يقتصر الأمر على ذلك حيث قام رحمه الله بإنشاء محميات طبيعية لتربية الأجناس الحيوانية المهددة بخطر الانقراض والفناء، فكان نصيراً قويا للمحافظة على البيئة، فاختير المغفورله بإذن الله رجل البيئة والإنماء عام ١٩٩٣م.

و اذكان الموت قدخطف من الأمة الإسلامية حكيمها وقائدها فإن لها في أنبائه الكرام خير خلف لخير سلف، ففي الثالث من نوفمبر ٢٠٠٤م تولى صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان ، حفظه الله و رعاه، مقاليد الحكم ليصبح رئيساً لدولة الإمارات العربية خلفاً للمغفور له بإذن الله تعالىٰ الشيخ زايد، طيب الله ثراه، كما تولى الفريق سمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولاية العهد في أبو ظبى ليكملا مع أخوانهما و أشقائهما مسيرة الخير والبناء والعطاء والتنمية

والرخاء، تلك المسيرة العطرة التي وضع لبناتها الأولى فقيد الأمة الغالي، زائد الخير والمحبة ورسخ أسسها في نفوس أنجاله و أبناء شعبه الكرام.

وفي النهاية نبتهل للمولى العلي القدير أن يشمل فقيد الأمة بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته مع الشهداء والصديقين مع دعوات و أمنيات صادقة لصاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة ، حفظه الله ورعاه، بالتوفيق والسداد في تحمل هذه المسؤوليات الجسام وأن يجعله دوماً خير خلف لخير سلف و أن يوفقه و إخوانه أصحاب السمو و أعضاء المجلس الأعلى وحكام الإمارات في حمل راية الإمارات والبقاء عليها دائما عالية خفاقة و في تحقيق مزيد من النمو والازدهار.